Π

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعد ...

فما من كاتب إلا سـتبقى كتابته، وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ يسرك فى القيامة أن تراه

وهذه رسالة :

مواجهة المضلين

واللهَ الكريمَ أسألُ وأبتهل إليه بأكف الضراعة، وأضرع إلى أبواب عفوه ورحمته بكل عضوٍ وجارحة، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز بالرضى والقَبول والتكريم، وأن يجعله لنفع عباده موقوفاً، وعن أهل التحذلق والبطالة مصوناً مصروفاً، وأن ينفع من اشتغل به، وأسأله تعالى أن يعلمني ما جهلت، وينفعني بما علمت، وأن يجعل علمي زاداً إلى حُسْنِ المصير إليه، وعتاداً إلى يُمْنِ القدوم عليه، إنه مولاي بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيل، وعليه اتكالي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، القائل –جلَّ وعزَّ– : "**وما لكم من دون الله مِن وليٍّ ولا نصير**".

إليك، وإلا لا تُشَدُّ الرَّكائبُ ومنك، وإلا فالمؤَمِّلُ خائبُ
وفيك وإلا فالغرام مُضَيَّعُ وعنك، وإلا فالمحدثُ كاذِبُ

وأنا سائل كل من انتفع بشئٍ مما كتبت أن يدعو لي، ولأصحابي، وأحبابي، وإخواني، وجيراني، وأهلي، وعشيرتي، ومشايخي، ولوالديَّ، ولمن كان له فَضْلٌ عليَّ، ولسائر المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، آمين.

إني سألتك بالله الذي خضعت لـ ـه السماوات وهو الواحد الباري
إذا تأمَّلْتَ فاستغفر لِجامعه لعل جامعه ينجو من النارِ

إن رسالاتِ اللهِ إلى أهلِ الأرض، والدينَ الذي اختاره اللهُ لهم هو أثمنُ هبةٍ للبشرِ وأعظمُ منةٍ عليهم، خيرةُ اللهِ للإنسانِ، منهاجَ حياته، وطريقَه الموصلَ إلى جنته، هو النعمةُ التامةُ، والفضلُ المبين.

قال تعالى: "ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلأِسْلاَمَ دِيناً"،

خ م – عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: [قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ لِعُمَرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا" لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ، فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ]

أي نعمةٍ أعظمُ و أتمُ من أن تتنزلَ ملائكةُ الله بكلمات الله على رسول الله لتقول للإنسان: هذا طريقُك إلى الله، "وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"،

إن هذا العطاءَ الإلهي والهبةَ الربانيةَ منةٌ تستشعرُ نفوسُ المؤمنين كبرَ نعمةِ الله بها عليهم، فتتضاءلُ النفسُ أن تكونَ ثمناً لهذه النعمة.

١- م ت: في قصة الغلام والراهب والملك وهي قصة أصحاب الأخدود، لما آمن الناس كلهم بالله تعالى بعد قتل الغلام، قال صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم: [فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَجَزِعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةٌ؟ فَهَذَا الْعَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ، فَخَدَّ أُخْدُودًا، ثُمَّ أَلْقَى فِيهَا الْحَطَبَ وَالنَّارَ، ثُمَّ جمعَ النَّاس فقَالَ: مَنْ رَجعَ عَنْ دِينِهِ تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ، فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الْأُخْدُودِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ: "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ"].

٢- **سحرة فرعون:** جاءوا لشهوة في أول الأمر، قال تعالى: "وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ"، ثم استمع إليهم يتقبلون وعيد فرعون لهم وهو يقول: "فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ". فماذا كان الجواب على هذا التهديد؟ استمع إلى جواب السحرة وهم يقدمون للدين أرواحهم بسخاوة نفس: "قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا، فَٱقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ، إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا". نعم ما أقصر الحياة وما أهونها حين تكون ثمناً للإيمان بالله عز وجل، وإن عذابها مهما اشتد، ونكالها مهما كاد وبطش، لهو أيسر من أن يخشاه قلب موصول بالله عز وجل، ينتظر ثوابه، ويطمع في مغفرته ويرجو رضاه وجنته: "إِنَّا امَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ".

٣- خ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أنه سُئِلَ مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: [أن أشراف قريش كانوا جالسين في حجر الكعبة، فَبَيْنَمَا هُمْ كذلك إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا – لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ – ؟ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ].

٤- خ م: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: [كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْضَحُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ].

٥- ومقولته لعمه أبي طالب مقولة خالدة: (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت). في مختصر السيرة ج١/ص٩٢: (بعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي إن قومك جاءوني وقالوا كذا وكذا فأبق عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكْفُف عن قومك ما يكرهون من قولك فقال صلى الله عليه وسلم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يُظهر الله أو أهلك في طلبه فقال امض على أمرك فوالله لا أسلمك أبداً).

إخوتي الكرام:

إن معنى العطاء للدين والبذل له وتسخير الحياة من أجله، بليلِها ونهارِها، والنفسُ بمشاعِرها ووجدانها وبكلِ طاقاتِها سخرةُ لهذا الدين؛ هذا المعنى توارى أو خفتَ في نفوسِ كثيرٍ من المسلمين، فجعل المحاربين عن حوزة الدين تتضاءل جهودهم أمام المضللين والمشوهين لصورة الإسلام.

فليس خافياً ما يواجهه الإسلام من حرب ضروس، ليست حرباً عسكرياً فحسب، بل أنكى من ذلك حرب الشبهات والتضليل وتلبيس الحق وتشكيك الناس في ثوابت دينهم:

م: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا].

وإنّ من أعظمِ الفِتنِ التي تُعاني منها المجتمعاتِ المسلمة في عَصرِنا الحَاضرِ هي فتنة غِيابِ الحقّ ولَبسه بالباطل، وفقدان هيمَنَة المرجعيّة الصّريحة الصَّحيحة في إبداءِ الحقّ ونُصرتِه أمامَ الباطلِ، وإظهارِه على الوجهِ الذي أنزلَه الله على رسولِه صلى الله عليه وسلم، دونَ تأويلاتٍ غلَبت عليهَا شُبهاتٌ طاغيَة، أو شَهَواتٌ حقيرة، مما يجعَلُها سبباً رئيساً في تعرُّضِ صُورةِ الإسلاَمِ وجَوهَرِه في المجتَمَعاتِ لخطَرَين داهمين: خطَر إفسادٍ لِلإسلامِ، والفُرقةِ التي يَصعُب معها الاجتماع.

الخطر الأول: خطَر إفسادٍ لِلإسلامِ:

هو خطر يُشوِّش قِيَمه ومَفاهيمَه الثَّابتةَ بإدخال الزَّيفِ علَى الصَّحيح والغَريب الدخيل على المكين الأصيل، حتى يُغلَبَ الناس على أمرِهم في هذَا الفهمِ المقلوبِ، ويبقَى الأمَل في نفوسِهم قائمًا في أَن تجيءَ فرصَةٌ سانحة تردّ الحقَّ إلى نصابه، وهُم في أثناءِ ذلك التَّرقُّب يكونون قد أُشرِبوا في قلوبهم الاعتقادَ الفاسدَ بأَنّ ما يَفعَلونه من هذا البُعدِ والقصورِ في التديُّن والخَلط بين الزَّينِ والشَّين هو الإسلامُ بعَينِه، فإذا ما قامَت صَيحَاتٌ تصحيحيّة تدعوهم إلى الرجوعِ إلى المنهج الحقّ والتمسُّك بالشِّرعة الخالدة كما أنزلها الله جلّ وعلا أنكَروا عليهم ما يدعون إليه، واتَّهَموا الناصحين بالرَّجعية والجمودِ والعَضِّ على ظاهِرِ النّصوص دون روحِها وأَغوارِها، كَذا يزعُمُ دعاةُ التلبيس والتَّدليس، ولسانُ حالهم عند نُصحِ النَّاصحين ينطق بقول الله جلّ وعلا: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ" [البقرة: ١١، ١٢].

ويؤكّد كلامَنا هذا مَقولةُ ابنِ مَسعود رضي الله عنه التي يقول فيها: (كيفَ بكم إذا لبِستكم فتنةٌ يربُو فيها الصغير، ويهرمُ فيها الكبير، وتُتَّخَذ سُنّة، فإن غُيِّرت يومًا قيل: هذا مُنكر)، قالوا: ومتى ذلك؟ قال: (إذا قلّت أمناؤكم، وكثُرت أُمراؤكم، وقلّت فُقهاؤكم، وكثُرت قُرّاؤكم، وتُفُقِّه في غيرِ الدِّين، والتُمِسَت الدنيا بعَمَلِ الآخرة).

والنتيجة الحتمية لتلبيس الحق هو انتشار الجهل بالأحكام الشرعية الصحيحة:

١- خ م: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا].

٢- خ م: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا].

٣- جه: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ].

الخطر الثاني: الفُرقة التي يَصعُب معها الاجتماع:

قال تعالى: "وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ".

فلن يتنازل أهل الحق أبداً عن الصدع بالحق، ولن يتوقف أهل الضلال عن الترويج لباطلهم، فتكون النتيجة الحتمية لذلك: الصدام بين الطرفين.

م: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ].

فالتَّلبيسَ والتضليلَ ينتهي بالمسلمين إلى الفُرقةِ التي يَصعُب معها الاجتماع؛ إذ كلُّ طائفةٍ ستزعم أنَّ لها منهجَها الخاصَّ بها، فتتنوَّع الانتماءات إلى الإسلام في صُورٍ يُغاير بعضُها بعضًا كالخطوط الممتدّة المتوازيةِ التي يستحيل معها الالتِقاءُ، حتى إنَّنا لنَرى بسَبَبِ مثلِ ذلك إسلامًا شماليًّا وإسلامًا جنوبيًّا وإسلامًا شرقيًّا وآخر غربيًّا، وإنما الإسلام شِرعةٌ واحدة وصِبغة ما بعدها صبغة، ولكنه التضليل والتلبيس الذي يفعل بالمجتمعاتِ ما لا تفعلُه الجيوش العاتية.

إنَّ المجتمعَ المسلمَ التَّقيَّ النَّقيَّ هو ذلكم المجتمَع الذي تسود فيه أَجواءُ النّقاء في المنهَج والوُضوح في الهَدَف وسلامة السّريرة في الحكمِ والفتوَى والتربيَة والتعليم والأحوال الشخصيَّة والمعاملات والشُّموليّة في الالتزامِ بالإسلامِ على مَنأى وتخوُّفٍ من تهميش أيٍّ من جوانبِه التي شَرعَها الله أو الزَّجِّ بها في رُكامِ الفوضَى والمساوَمَة والتَّنديد.

وإنّ المتتبِّعَ لِسيَرِ عُصورِ الخلافاتِ الرّاشدَة عبرَ التَّاريخِ ليَقطَع باليَقين أنّ تلكَ العهودَ كانَت عريّةً عن مزالقِ التلبيس والتضليل والخِداع والمراوَغَة في التعامُلِ مَعَ الشَّريعةِ من كافّة جوانبِها، ولذلك حصَل لهم ما حصَل من الشَّأو الرفيع والمُلك الواسع في الدنيا، وما ذلك إلاَّ بفضلِ الله عليهم ثم بما حبَوا به أنفسَهم من الصدقِ مع اللهِ في الباطِنِ والمخبر المترجَم في الواقع والمظهَر، وهم مع ذلك ليسُوا أنبياءَ ولا كانوا على شريعةٍ غيرِ شَريعتِنا، وليس لهم كتابٌ غير الكتاب الذي نقرأ، ولا سنّةٌ غير سنَّة المصطفَى صلى الله عليه وسلم، ولكنَّه إيمانٌ راسخ بالله وبرسولِه صلى الله عليه وسلم، صدَّقَه العملُ عَلَى أرضِ الواقِع واستلهامُ العبَر من كتابِ ربهم حينَ عابَ وذمَّ من جعَل من التلبيسِ والتضليل منهجَ حياة ليخدَع به ربَّه ويخدَع به السُّذَّجَ والرّعاعَ من بني جنسه.

قال تعالى: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" [البقرة: ٩].

الخطبة الثانية

إنّ كتابَ اللهِ جلّ وعلا مَليءٌ بالآياتِ الذامَّة لممتَهِني التضليل والتلبيس،

١= قالَ تعالى: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ. فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ" [البقرة: ٧٨، ٧٩]،

٢= وَقَالَ: "وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [آل عمران: ٧٨]،

٣= وقال: "وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [البقرة: ٤٢]،

٤= وقال: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [آل عمران: ٧١].

وسائل التدليس والتلبيس:

١= التأويلِ الفاسدِ واتّباع المتشابِه منَ النّصوصِ الشرعيّة التي تخدم مصالحَهم وتوجُّهاتهم:

قال تعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" [آل عمران: ٧].

يقولُ ابنُ القيِّم رحمه الله كلامًا مَفادُه: (أنّ من آثرَ الدنيا من أهلِ العلمِ واستحبَّها فلا بدَّ أن يقولَ على الله غيرَ الحقِّ في فَتواه وحُكمِه، وفي خبرِه وإلزامه؛ لأنّ أحكَامَ الربِّ سبحانه كَثيرًا ما تأتي على خِلافِ أغراضِ النّاس، ولا سيَّما أهل الرّياسَة، فإذا كان العالم والحاكِم مُحبّين للرِّياسة، متّبعين للشّهوات؛ لم يتمَّ لهما ذلك إلا بدَفعِ ما يضادّه من الحقِّ، ولا سيّما إذا قامَت له شبهةٌ، فتتّفِق الشّبهة والشّهوةُ ويثور الهوَى، فيختَفي الصوابُ، وينطمِسُ وجه الحقّ). انتهى كلامه رحمه الله.

فإذَا كان هذا الأثَرُ يبلُغ بالعَالم والحاكِم هذا المبلَغَ، فما ظنُّكم بالصَّحَفيِّ والمفكّر والسِّياسيّ والمنظّر إذًا؟!

ألاَ إنَّ الأثَرَ أبلَغ والهوّة أشقّ، ولاَ حَولَ ولا قوّةَ إلا بالله.

٢= كِتمانِ الحقِّ وإخفائه وعدَم إظهارِه للنَّاسِ وإن لم يَلبسوه بالباطل:

خ م: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ. فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا].

فوسرى هذا الخلق الذميم من اليهود إلى المضللين من أمتنا اليوم، فالمضللون يخفون الحق، ويرددون الشُبهَ لإخفائه، ويهولون من خطورة إظهاره، ويضخِّمون المفاسدَ المترتِّبةَ على إظهَاره، في مقابلِ تهوينِ المصالحِ المترتّبة عليه؛ لأنّ لَبس الحقِّ بالباطل وكتمانَ الحقِّ أمران متلازِمان.

يقول شيخ الإسلام ابن تَيمية رحمه الله: (مَن كتم الحقَّ احتاجَ أن يقيمَ موضعَه باطلاً، فيلَبس الحقَّ بالباطل، ولهذا كان كلُّ من كَتَم من أهل الكتابِ ما أنزلَ الله فلا بدَّ أن يُظهِرَ باطلاً)أهـ.

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ" [البقرة: ١٥٩]،

حم: عن أبي هريرة قال: (وَايْمُ اللَّهِ، لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ أَبَدًا. ثُمَّ تَلَا قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ").

حم د جه ت: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ]..

فالواجبُ علينا:

١= التَّسليمُ بأن شريعة الله شَريعة خالدة، لا لَبسَ فيها ولا زَيفَ، وأنها صالحةٌ لكلِّ زمانٍ وَمَكان،

٢= أن لاَ عزَّةَ للأمة إلاّ بتطبيق شريعةِ الله، وأنَّ الخذلاَنَ والخسارَ مَرهون بمدَى بُعدِ المسلمين عنها ونأيهم عنها.

٣= أن لا نَغترَّ بالأطروحاتِ المزوّقةِ والتلبيسَاتِ المنمَّقة في تهميشِ الشَّريعة،

٤= أن يكونَ موقفُ المسلم أمامَ أعاصير التضليلِ وزوابعِ التلبيسِ والتّضليل أن يقول مَا امتدَحَ الله به الرّاسخين في العلم الذين يقولون أمامَ هذه الفتنِ المضلّلة والتشكيك بشريعةِ الله: "آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ. رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" [آل عمران: ٧].

٥= وأخيراً: التسلح بالعلم الشرعي، خ م: عن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ أنه خَطَبَ فقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ].

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه بفضله ورحمته ،

ونستغفرُ اللهَ تعالى مِنْ كُلِّ ما زَلَّتْ به القَدَمُ، أو طَغَى به القَلَمُ، ونستغفرهُ مِنْ أقوالنا التى لا تُوَافِقُها أعمالُنا، ونستغفره مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وعَمَلٍ قَصَدْنَا به وَجْهَهُ الكريمَ ثُمَّ خَالَطَهُ غَيْرُه، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ وَعْدٍ وَعَدْنَا به مِنْ أَنْفُسنَا ثُمَّ قَصَّرْنَا فى الوَفَاءِ بِه، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِها عَلَيْنَا فاستَعْمَلْناها فى مَعْصِيَتِه، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ تَصْرِيْحٍ وتَعْرِيْضٍ – بِنُقْصَانٍ نَاقِصٍ، وتَقْصِيْرِ مُقَصِّرٍ –كُنَّا مُتَّصِفِيْنَ بِهِ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ خَطْرَةٍ دعتْنا إلى تَصَنُّعٍ وتَكَلُّفٍ تَزَيُّنًا للناسِ بِهِ .

وآخر كلامي كأوَّله : أن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وباركَ على محمدٍ النبي، وأزواجِهِ أمَّهاتِ المؤمنين، وذريته وآل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك

وكتبه / أبو تراب الحسن الأصيل

الموقت بمدينة نصر العامرة